الإنجليز والعمل

[نقلا من مجلة الشهر الفرنسية]

للأستاذ مصطفى كامل

يضرب المثل بالبرود الإنجليزى ، ولكن النشاط الإنجليزى لا يقل ذيوعاً عنه . وكثيراً ما كان الشعب الإنجليزى فى رأى الأجانب قليل الاكتراث ، بطيئاً فى التصميم ، مفضلاً الاحتفاظ الشديد بعمله وراحته وعاداته اليومية على كل شىء آخر . مع أن هذا الشعب نفسه قد أدهش العالم مراراً بجلده فى المشاق وإصراره الخارق وموارده المادية والأدبية التى لا تنفد ، والتى يستخدمها فى العمل بمجرد شروعه فيه . أخذ بعض الذين عيل صبرهم على الإنجليز أنهم لم يعبأوا بتوغل الألمان واستفزازهم فى أوائل هذه الحرب ؛ ولكن العالم كله اليوم يتحقق من إرادة هذه الحكومة وهذا الشعب التى لا تنثنى أمام أية تضحية ، وفى عدم ادخار أى مجهود لوضع نهاية لتهديد الريخ الثالث للأمم الشرقية ولمجموع العالم المتمدن . فكيف نوفق بين هذين النوعين من الوقائع ؟ سنوضح أنهما غير متناقضين إلا فى الظاهر

فلو أننا تأملنا الشعب الإنجليزى إبان العمل لأدركنا سر تصرفه فى وقت الراحة . فالمتزهو أن العمل عنصر طبيعى للنفس الإنجليزية ، فلا حاجة إلى كلمات بيانية ، أو حركات خطابية لحثه على العمل . إذ أن النفس الإنجليزية لا تستطيع أن تتصور حياة بدونه ، فالتصرف والعمل لهذه النفس ضرورة حيوية وليس نظاماً ، ولهذا لم يكن النشاط المتوالى الذى يفيض منها مكتسباً أو زائفاً أو وقتياً ؛ ولم يكن الهدوء والراحة فى نظر الإنجليزى غير نتائجه المفيدة المرغوبة . ويجب الاعتراف بأن للإنجليزى سيطرة لا تجارى فى العمل تعطيه مع غريزة الاستمرار والتضامن فى الجهود ، قوة تجعل منه أثمن حليف وأنفع صديق

الصرامة فى العمل

وليس أدل على أن الإنجليز شعب عمل من نفس اللغة التى خلقوها لاستعمالهم ؛ فليست توجد لغة أوربية أخرى يهيمن

ويشيد البناء العلوى بالآجر ، وينطى بالكلس أحياناً ، وهو ذو واجهة تبرز حوالى قدمين ، يقوم على كوابيل أو دعائم ؛ والآجر لبن محروق ذو لون أحمر قاتم . ويتكون الملاط من طين بنسبة النصف ، وكلس بنسبة الربع ، والباقى من رماد اللبن والسقط . لذلك تبدو الجدران غير المغشاة بالكلس قذرة اللون كما لو كانت مبنية باللبن . وينطى سطح المنزل بالكلس ، ويكون عادة من غير سور

ويبين الرسم رقم ٢ الأسلوب المعمارى « الأكثر ذيوعاً » لمدخل المنزل القاهرى . فالباب كثيراً ما يزين على هذه الطريقة المصورة ، فيصبغ القسم الذى فيه الكتابة والأقسام الأخرى المتشابهة الشكل بلون أحمر يحده حد أبيض ، بينما تلون بقية الباب باللون الأخضر . أما عبارة « هو الخلاق الباقى » التى سنشرح موضوعها عند الكلام على خرافات المصريين فترى على أبواب كثيرة . وهى تنقش عادة بحروف سوداء أو بيضاء . وقلما تصبغ الأبواب ما عدا أبواب البيوت العظيمة .

ويكون لها على العموم سماعة من الحديد وضبة من الخشب ،

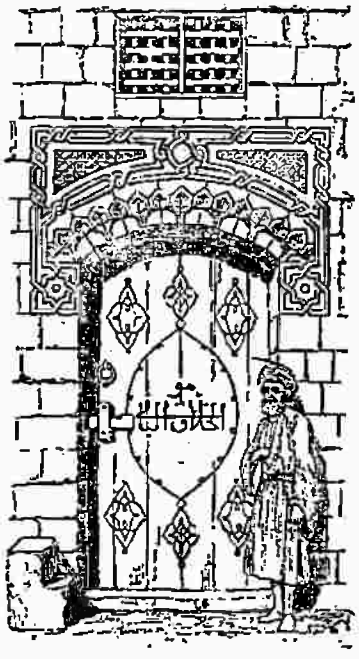

شكل ٢ — (باب منزل قاهرى)

وعلى جانب الباب درجتان من الحجر للركوب[1]

(يتبع)

محمد طاهر نور

(١) وهى المعروفة بسلم التسليم (المترجم)

(الفعل) عليها بهذه الدرجة — أعني التعبير عن الحركة والفعل والنشاط — كما أنه لا توجد لغة لها مثل قدرتها على التعبير الدقيق عن النظام والأمر ، وفي تصوير ما فعل أو ما يتعلق بما يفعل ، بمثل هذا الإيجاز والوضوح

ولكل مراتب الحركة والعمل (فعل) في الإنجليزية ينطبق عليها تماماً بغير ضرورة إلى استعمال ظرف أو أي تعبير للتحديد أو الإيضاح . وفعل يرفس to kick ، وهو مثل من آلاف الأمثلة التي تزخر بها اللغة الإنجليزية ، ليس له مثيل في أية لغة أوربية ، كما أن الفعل في الإنجليزية يتغلغل في الجملة بأكملها ، فيبرز جرسها ويحدد وزنها

والذي تفصح عنه اللغة الإنجليزية ببراعة هو دقائق تكوين الذكاء الإنجليزي الذي تبدو الفكرة في ثناياه كأنها لم تخلق إلا للاستعداد للعمل والترحيب به وجعله سائغاً . وقد ذكر سلفادور دي مادرياجا عن هذا الموضوع في كتابه (الإنجليز والفرنسيون والإسبان) آراء في منتهى السداد والدقة ، قال :

« إن الذكاء الإنجليزي في الدرجة الأولى من القوة ، ويبلغ أقصاه أثناء العمل وعند ما يكون الإنتاج العملي محط النظر ، ولكنه لا يتكلف المشقة من أجل تصرفات لا تجدي ، وهذا هو أحد أسباب الشهرة السيئة التي نسبت إليه ؛ كما أن هناك سبباً آخر ، فذكاء الإنجليزي ، وهو أقل تخصصاً في الأمور الذهنية ، كأنه ذائب في جميع أنحاء جسمه ؛ وهذا ما يفسر بطئه في التحرك ، فإنه لا يكفي أن يحشد التهيج الخارجي قوى المخ وحده بل جميع الجهاز العصبي أيضاً ، كما أن الإدراك لا يتم بالمخ وحده ولكن بجميع الجهاز العصبي كذلك . ولهذا كانت الآلة العقلية في الإنجليزي أكثر تعقداً وثقلاً وبطئاً للبدء في العمل »

وهذه الفكرة التي تركزت في العمل من تلقاء نفسها تتضح في مذهب المنفعة الغريزي الذي نجد الأدلة العديدة عليه في تاريخ انجلترا ، والذي يفسر كثيراً من الأمور في عادات الإنجليز ، فالإنجليزي يتجه قدماً نحو العمل عند ما يتعلق الأمر بالتصرف مهما كانت الوسيلة . ومن السهل عليه أن يقنع بالضروري ، ويكون لديه كل ما لم يفد مباشرة في الغرض الذي تكفل ببلوغه قانعاً عديم الجدوى ، ومع ذلك فإن هذا لا يعني أن العمل يقوم بطريقة تدل على التسرع والشدة والعسف ، بل على العكس ، فإن عادة الإنجليزي في التصرف وفهمه للحياة في ظلال العمل تعلمه أن يتصرف بهدوء وتؤدة ، وتخول له أن يشعر بالراحة وهو في أوج العمل ، وأن يدخل في حسابه على قدر المستطاع أوقاتاً للاستجمام والراحة

والإنجليزي لا يستسلم للاهتياج بسرعة ، ولا للاندفاع إلى العمل بغير أن ينضجه تماماً في ذهنه ، فهو بطيء في التحرك ، ولكنه عند ما تستولي عليه فورة العمل لا يقفه شيء ، فإنه عند ما يتصرف يؤدي عمله بكل جوارحه وقلبه . وكيف لا يكون كذلك وهو في أثناء العمل يشعر أنه كالسمكة في الماء ، لا تشعر وهي في الماء بالحاجة إلى العنف لتسبح ، ولهذا لم يكن في النشاط الإنجليزي أثر من الضيق أو الوهن ، بل تصحبه الابتسامة والراحة

وإننا نجد في بعض رسائل الشاعر الروسي تيوتشيف بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٥٥ قوله : « أما عن العدو — ويقصد الأسطول الإنجليزي في حرب القرم — فقد تبادلت الرسل بين الفريقين هذه الأيام ، ولقد كان بين الطلبات السخيفة التي طلبت منا ، طلب في غاية الغرابة ، هو أن نمنحهم ركناً صغيراً في أرض محايدة ليستطيع رجال أسطولهم أن ينصرفوا إلى لعبتهم المحبوبة (الكريكيت) » .

صحيح إن حرب ١٨٥٥ لا تشبه الحرب في ١٩٣٩ ، ولكن الخلق الانجليزي لم يتغير تغيراً محسوساً ، ومع ذلك فإن طلب البحارة الإنجليز لم يكن سخيفاً كما ظن تيوتشيف ، لأن التدريب الرياضي جزء من نظام التعليم الذي خلق طراز رجل العمل الإنجليزي السكسوني

غريزة التضامن

وهناك مظهر أساسي آخر للنفس الإنجليزية ، هو غريزة التضامن التي تسود العاطفة الشديدة للمنفعة المشتركة والعمل المشترك ؛ فإن النفس الإنجليزية ممتلئة أكثر من أية نفس أخرى بهذه العاطفة . فالتضامن للانجليزي ، سواء أكان مقصوراً على أعضاء الجماعة الصغيرة أم كان يشمل الوطن كله ،

ليس شيئاً معنوياً أو مثلاً أعلى للأخلاق أو الاجتماع ، وإنما هو حقيقة واضحة مادية ، بل هو ضرورة يشعر بالحاجة إليها ، وكل أمة جديرة بهذا الاسم تتآزر في الخطر إذا داهمها من الخارج ، ولكن ذلك يكون عن اقتناع بالضرورة إليه ؛ أما في انجلترا ، فإن الذي نراه في مثل هذه الحالات هو غريزة غير واعية ، ولو أنها سليمة الإدراك ، وهي تشبه من بعض الوجوه الغريزة التي تثير أعضاء فريق الكريكيت عند ما يتعلق الأمر بالدفاع عن الشرف الرياضي لقرية أو مدرسة . وقد أصبحت التقاليد والتعليم طبيعة ثانية ، فإنه في الخلايا الاجتماعية الصغيرة وفي الحياة اليومية تتكون على التحقيق الغريزة التي يمكن أن توحد ، عند ما تسنح الفرصة ، بين جميع انجلترا ، وكل الأمبراطورية ، بل بين جميع العالم السكسوني الإنجليزي

وغريزة التضامن مصدر للنظام الاختياري الذي لا يشبه النظام الفرنسي ولا النظام الألماني من باب أولى ، فإن الألماني يخضع لأمر ، والفرنسي يخضع لمبدأ ، والانجليزي يخضع لنفسه ، لغريزته ، لرغبة الحياة في المجموع ، وهي رغبة طبيعية لديه بمقدار الرغبة في الحياة . النظام الألماني رق اختياري ، والنظام الفرنسي خضوع الإرادة للآراء الواضحة البينة ؛ أما النظام الإنجليزي فهو فيض غريزة خاصة بكل إنجليزي ، وهو وثيق الصلة بفكرة الخدمة : الخدمة التي يؤديها الإنسان طواعية إلى قريبه ، لا الخدمة التي يؤديها الشخص إلى متبوعه . وكلمة موظف تترجم في الإنجليزية (بالخادم المدني) ، فإن لفكرة الخدمة الاجتماعية عند الإنجليزي معنى يشبه المعاني الدينية . ومن الواجبات الرئيسية على رجال الدين الانجليكانيين والبروتستنت في انجلترا غرس الخدمة الاجتماعية ، ومكافحة البؤس والأماكن غير الصحية ، وتنظيم الإحسان العام ومقاومة البطالة ، وتعويد الإنسان أن يكون نافعاً على أية صورة وبأية وسيلة ؛ ولكن ذلك غير مقصور على الكنائس والقسس فحسب ، ولكن التعاون الاختياري منتشر بين جميع الطبقات وفي جميع ولايات المملكة المتحدة ، وفي مجموع العالم الانجلوسكسوني

ولتفهم غريزة التضامن الانجليزية يجب التنويه على الأخص بأنه تضامن إيجابي في العمل ، وليس عاطفة سلبية بتحمل المسؤولية المشتركة مما يمكن أن نجدها كذلك في الشعوب الأخرى ، فإن الصدارة في العمل تتأكد في هذا الميدان كما تتأكد في مجال الاستمرار التاريخي ، في التقاليد الحية . ففي اللحظة التي يهدد الخطر بلاده فيها ، وتكون الضرورة إلى العمل المشترك لا محيص عنها ، يتجه الانجليزي بكليته نهائياً إلى تقليده وإلى جماعته ، وعندئذ تبلغ عبقريته الفردية أقصى قوتها وتتكشف عن كافة مواردها

إن أهم ما يريد الانجليزي قوله يقوله في صوت خافت ، فإذا كان قلقاً بدا أكثر صمتاً وهدوءاً من قبل ، حتى إذا هدد الخطر جميع الذين معه يدرك أن الصمت لم يعد يكفي ، وأنه يجب عمل شيء آخر يسهل انجاز أثقل الواجبات ؛ وكلما ازداد الخطر بدت على وجوه المارة في لندن علائم الأنس واللطف

لقد تكلم الناس كثيراً عن قوة بريطانيا المادية وقوة بحريتها وطيرانها ، ولكن الذي يفوق هذا كله هو أطوارها في الجهود بمجرد أن تباشرها ، وإحساسها بالتضامن ، وهدوءها الحازم في الأوقات الحرجة ؛ وبمعنى آخر قواها الأدبية التي تؤيد الحقيقة المطلقة للحكم القائل : « إن الشعب البريطاني ما يزال أثمن حليف في العالم »

مصطفى كامل

وحي الأحاديث المحمدية

بقلم الأستاذ محمود علي قراعة المحامي

كتاب قيم أخذت مادته من كتب أحاديث السنة المشهورة التي جمعها الشيباني في كتابه (تيسير الوصول) أراد به مؤلفه أن يبين للقارئ المعاني الاسلامية النبيلة الواجب على المسلم معرفتها ، ويلخص له مناحي السمو الروحي النبوي التي ينبغي له الوقوف عليها ويضع أمامه بالكلام من الأحاديث المختارة صورة واضحة لفيض المحمدي الذي يسعد من اتبعه ويضرب له الأمثال في شؤون الحياة بما فعله النبي (صلعم) أو قاله فيها ، تكلم فيه عن مولد النبي وصفاته وأخلاقه وعلامات نبوته ومعجزاته وحديثه عن الأنبياء السابقين ومن أصحابه وبره بأهله وأدعيته ومزاحه وحبه للجمال وكراهيته التصوير وهجرته وحبه ووفاته وختمه ببحث من كيف لستير بسيرته وكيف نفهم الأسراء ومن كيفية المعراج بالروح والجسم وكيفية رؤية النبي ربه الخ

٥٦٠ صفحة ورق فاخر ثمنه ١٥ قرشا والبريد ٤ قروش

يطلب من مكتبة الجامعة بشارع محمد علي بمصر